الوجهة الثانية

وتعرف حكم شد الرحال إلى المدينة بغرض زيارة مسجد الرسول ﷺ وتفصيل الأحاديث النبوية التى وردت فى الدقة والعناية بآداب الزيارة والمجاورة وفى فضائل المسجد الشريف والمنبر اللطيف والروضة المنيفة.

ذكر الأحاديث الشريفة التى وردت بخصوص شد الرحال لزيارة مسجد الرسول ﷺ وآراء الفقهاء العظام وموقفهم فى هذا الباب.

وعد الرسول ﷺ بشفاعة أمته المخلصة عندما قال بأمر من الوحى «من زار قبرى وجبت له شفاعتى»[1] (حديث شريف) وذلك لكل واحد من الذين يزورون قبره.

بما أن هذا الخبر اللطيف قد روى من قبل أئمة الرواة ابن خزيمة والبزار والدَّارَقُطْنِى والطبرانى عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - فلا شك فى صحته.

ذو الشهامة يزورون المرقد ... لا يحرمون من ألطاف الله
لقد بشر أحمد بالشفاعة ... لتكن مجنونًا إذا لم تحظ بها

كما أن زوار الرسول ﷺ مبشرون بالحديث الشريف الذى روى مرفوعًا عن طريق عبد الرحمن بن زيد عن الإمام البزار عن ابن عمر رضى الله عنهما. «من زار قبرى حلت له شفاعتى»[2] (حديث شريف)، «من جاءنى زائرًا لا يعلم له حاجة إلا زيارتى، كان حقًا على أن أكون له شفيعًا يوم القيامة»[3] (حديث شريف).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد عن ابن عمر، وعزاه للطبرانى فى الكبير والأوسط، وقال: فيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف.

وبناء على هذا الحديث الشريف فلا شبهة فى أن النبى ﷺ سيشفع يوم القيامة المفزع للذين يشدون الرحال إلى المدينة المنورة لزيارته ـ عليه السلام ـ وقد نقل وروى أبو بكر بن المقرى فى «معجمه» مرفوعًا عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ عن طريق مسلمة بن سالم الجهنى هذا الحديث.

وكل من يزور الرسول ﷺ بعد الحج بناء على الخبر الصحيح «من حج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى»[1] (حديث شريف) يكون كمن شاهد الرسول ﷺ فى حياته، وبناء على قول ابن الجوزى ينال أجر مصاحبة الرسول ﷺ، وقد روى هذا الخبر الإمام الطبرانى فى كتابيه «الكبير» و«الأوسط» عن زوجة الليث عائشة بنت يونس وعائشة عن زوجها الليث كما أنه رواه عن حفص بن أبى دواد القارى، وبما أن ابن الجوزى قد أخبر أن لفظة «صحبنى» من جملة كلمات هذا الحديث الشريف فلا شك فى أن الذين يوفقون فى أداء الحج وزيارة قبر الرسول ﷺ يكونون قد زاروا الرسول ﷺ فى حياته ونالوا شرف مصاحبته.

ومع ذلك فالذين يذهبون لأداء الحج ولا يزورون قبر الرسول بدون عذر شرعى يكونون قد جفوا الرسول ﷺ، وهذا قد ثبت بالخبر الصحيح الذى رواه الدارقطنى عن طريق نعمان بن شبل وهو «من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى» (حديث شريف) وقد نقل وروى الحديث المذكور نعمان بن شبل عن الإمام مالك والإمام مالك عن نافع عن ابن عمر «رضى الله عنهما» مرفوعًا.

(١) من طريق عائشة بنت يونس رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط قال الهيثمى فى المجمع: «عائشة بنت يونس لم أجد من ترجمها».
مجمع الزوائد ٤/ ٢ ومن طريق حفص بن أبى داود رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط. وحفص بن أبى داود وثقه أحمد وضعفه جماعة من الأئمة.

وقد اعترض بعض الرواة على هذا الحديث قائلين «إن نعمان بن شبل قد انفرد بهذا الحديث[1].

وإذا ما نظرنا إلى ما رواه الدارقطنى عن نافع مرفوعًا عن ابن عمر رضى الله عنهما، «من زارنى إلى المدينة كنت له شفيعًا أو شهيدًا» فالذين لا يزورون النبى ﷺ فمن البداهة أنهم يجفون الرسول ﷺ، لأن الحجاج الذين يذهبون إلى البلاد الحجازية ولا يزورون قبر الرسول ﷺ فكأنهم لم يهتموا بما جاء فى الحديث الشريف من الكرم واللطف والمروءة، لأن رغبة الرسول ﷺ فى الزيارة مبنية على أن ينال الزوار الأجر والمثوبة، لأن الحديث الشريف «من زار بيتى» وعلى قول «من زارنى كنت له شفيعًا أو شهيدًا ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة» الذى رواه أبو داود الطيالسى ـ رحمه الله ـ يؤكد الحديث الأول كما يؤكد مجافاة الذى لا يزور قبر الرسول ﷺ.

روى منهال بن عمرو عن سعيد بن المسيب: قد رأى بلال الحبشى بعد فتح بيت المقدس فى رؤياه النبى ﷺ وبناء على الأمر النبوى الذى يجب أن يطاع من الكائنات كلها ذهب إلى المدينة وشغل بزيارة قبر الرسول ﷺ.

عمر بن عبد العزيز الذى هو أعدل أهل السلوك وأزهد ملوك بنى أمية بينما كان مستقرًا ومقيمًا فى الشام يأمر بزيارة قبر الرسول ﷺ فى المدينة المنورة فيذهب ويزور قبر الرسول ويعرض سلامه وصلاته عليه.

أما الفاروق الأعظم عندما عاد من فتح بيت المقدس ذهب رأسًا إلى حجرة السعادة، فزارها وألقى السلام على صاحب الرسالة ثم عاد إلى بيته.

ويقول يزيد بن المهدى، وعندما كنت سأعود من جنة الشام إلى مدينة الإسلام

(١) قال ابن حبان فى كتابه «المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين»:
النعمان بن شبل: من أهل البصرة، يروى عن أبى عوانة ومالك، أخبرنا عنه الحسن بن سفيان، يأتى عن الثقات بالطَّامَّات، وعن الأثبات بالمقلوبات، و أورد له هذا الحديث المذكور هنا.
أنظر: المجروحين لابن حبان ٣/ ٧٣، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٦٥.

زرت مجلس عمر بن عبد العزيز الذى كان أمير مصر، فقال لى الأمير عند توديعه: «يا يزيد عندما تصل إلى دار السلام قبة الإسلام وتزور قبر سلطان الرسالة ـ عليه أجمل التحية ـ أرجو أن تعرض سلامى وتحياتى لذلك الجوهرة الفريدة للكونين المدفونة تحت ثرى المدينة ذات عطر كالمسك».

وكان عبد الله بن عمر كلما يعود من سفر من أسفاره، كان يدخل فى الحجرة المعطرة ويزور الرسول الكريم ﷺ وبعده قبر الصديق وبعده والده ابن الخطاب ويسلم عليهم وهذه الرواية الصحيحة منقولة من الإمام نافع، إذ يخبرنا الإمام أن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ كان يعرض سلامه وتحاياه على الدرة اليتيمة التى تظهر فى داخل حزمتها المنورة الرسول ﷺ، وإننى قد رأيت ذاته السامية أكثر من مائة مرة وهو يقف فى حضور صاحب الرسالة يقول «السلام عليك يا رسول الله» ثم يقول السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبى ويشغل بالزيارة بهذه الطريقة، بيتى يوصل سلامه إلى المعرض المعلى للرسالة مشافهة ثم إلى رفيقى حياته ومشاركى حجرته الصديق الأكبر والفاروق الأعظم رضى الله عنهما، ثم يعود، وقد دخل على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ يومًا ما فى المسجد الشريف فرأى مرقد فاطمة «رضى الله عنها» وبكى كثيرا وفى النهاية دخل فى الحجرة المعطرة وبعد أن بكى طويلاً قال «عليكما السلام يا أخوى ورحمة الله» وهكذا سلم على أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ وعاد بعد ذلك؛ لأجل ذلك فالفقهاء العظام الذين يتشرفون بلقب حجج الإسلام يتجهون إلى المدينة المنورة بقصد زيارة قبر السعادة.

وبعد أن يصلوا إلى المسجد الشريف الذى يقابل البيت المعمور وهم محرمون وقد اهتزت جنباتهم من الابتهاج والفرح، يزورون الروضة الشريفة التى حسدها روض الجنان، ثم المنبر المنير، ثم القبر المنيف الذى يحتوى على الرسول ﷺ، ثم يزورون الأماكن التى سار فيها وتنزه والأماكن التى جلس فيها مستندا على

الأعمدة التى اتكأ عليها عند نزول الوحى، ثم يزورون ويتبركون برؤية الأماكن الخاصة بالأصحاب الكرام الذين اشتركوا فى بناء المسجد وصرفوا النقود فى تعميره وكذلك التابعين ذوى الشهرة ثم يذهبون إلى آثار الصلحاء وفقهاء الأمة الذين قد أدوا فريضة الحج، فذهاب الحجاج الآن إلى دار الهجرة مبنى على ما فعله الأسلاف.

وقد اختلف علماء الأسلاف فى أفضلية ذهاب الحجاج أولاً إلى المدينة أو العودة إليها من مكة بقصد زيارة قبر السعادة وقد التزم جانب أفضلية الذهاب إلى المدينة أولاً علقمة وأسود وعمرو بن ميمون، وقال الإمام أبو حنيفة «فالأحسن بالنسبة للحجاج الذهاب إلى مكة أولا ثم العودة إلى المدينة بعد عرفة» وقد رجح أبو الليث السمرقندى فى فتاويه القول الثانى على القول الأول، ولما كان عدد من الأئمة اقتنعوا بجواز القول الأول فصحته محققة أيضًا.

إخطار

قد أصبح فى زماننا من حكم العادة ذهاب الحجاج إلى المدينة ورجوعهم منها بين العيدين، ويعود بعض الحجاج إلى بلادهم عن طريق قناة السويس راكبين السفن بعد ذهابهم إلى المدينة بعد وقوفهم بعرفات مع أن الذين يذهبون إلى المدينة بعد عرفة بقصد الزيارة لا يستطيعون أن يبقوا فى المدينة إلا ساعة أو ساعتين ومع هذا يقفون معظم أوقاتهم فى ينبع البحر فى انتظار السفن ويتعرضون لمشكلات كثيرة كما وردت فى ذلك الأخبار الموثوقة، ومن هنا ينبغى على الحجاج الذهاب إلى مكة المعظمة أولاً ثم الذهاب إلى المدينة المنورة بين العيدين، والذهاب إلى المدينة بين العيدين بالنسبة للحجاج الذين يعودون بحرا إلى بلادهم، أما بالنسبة للحجاج الذين يعودون برا فمن الخير لهم أن يزوروا المدينة بعد العودة من عرفات.

نصيحة

كان الذهاب إلى الحج بحرا قبل خمس سنوات أو عشر أهون من حيث النفقات وأدعى للراحة البدنية، ولكن منذ ثلاث أو خمس سنوات تغير الحال فالعودة بحرا أصبحت أمرًا مضرًا ومهلكًا لأن المشكلات التى يتعرض لها الذاهبون والآيبون بحرًا فى مواقع الحجر الصحى زادت من النفقات بالإضافة إلى ضياع الوقت كما تتسبب فى التعب الجسمانى، فالحاج الذى يريد أن يعود بحرًا فى حاجة إلى ما لا يقل عن ثلاثة أشهر وإلى نفقات من خمسين أو ستين قطعة ذهبية من ذات المائة، فضلاً عن تخمين ما سيتعرض له من المحن والمشاق.

حتى لا يتعرض الحاج لكل هذه المصاعب والمتاعب منفقًا نفقات زائدة يجب عليه أن يذهب إلى أداء الحج بحرًا والعودة برا حتى لا يظل مدة طويلة فى الطريق كما أن الحجاج العائدين عن طريق البر لا يتعرضون لمشاق كثيرة ولا يتأخرون فى الطريق وبهذا ينالون شرف زيارة الآثار واجبة الزيارة.

وليس بقليل ما تتعرض له قوافل الزوار والتجار من مشاق عندما يذهبون من ينبع البحر إلى المدينة ومن المدينة إلى ينبع البحر، وكانت هذه القوافل قبل أربعمائة عام تذهب وتجىء عن طريق «ميناء الجار» ولا يقعون فى مخالب أشقياء العربان، ولكن لشدة الأسف استطاع العربان الذين يسكنون بجوار ينبع البحر أن يتغلبوا على العربان الذين يسكنون بجوار «ميناء الجار».

ووفقوا فى جعل ميناءهم ممر القوافل، ولكن إن كان الذهاب إلى المدينة من ميناء «الجار» يستغرق أربعة أيام فالذهاب من ميناء «ينبع» يستغرق خمسة أيام، فضلاً على ذلك ما يتعرض له المسافرون من متاعب ومخاوف، فالعربان الذين يسكنون فى ناحية «الجار» ليسوا من أهل الجفاء مثل عربان نواحى ينبع بل هم فى غاية الأنس والقناعة، وإذا أرست السفن مراسيها كما فى السابق فى ميناء الجار وانتقلت القوافل فى ذهابها وإيابها عن طريق منياء الجار، تكون قد نجت

من شرور عربان ينبع كما أنها قللت من النفقات، ويتوقف تحويل الطريق إلى ميناء «الجار» على إقامة عدة دكاكين وبعض المخازن ومواقع حراسة قوية وتأسيسها.

ولما كان ميناء «الجار» شبه جزيرة يستوعب كثيرًا من السفن كان فى البداية ميناء مأمونا للفلائك التى ترد من ديار مصر والحبشة، لأنه يقع فى مكان مأمون من المخاطر وهو أقرب الموانى إلى المدينة المنورة.

قد ثبتت زيارة القبر النبوى بإجماع الأمة وذلك بالأدلة التى أتى بها مؤلف «الشفاء الشريف» القاضى عياض والإمام النووى ومن أجل فقهاء الحنفية ابن الهمام ـ عليهم الرحمة والسلام ـ حتى اقتنع بعض النحارير الأكابر بوجوب زيارته، زيارة القبور سنة بإرادة صاحب الشريعة «عليه أكمل التحية» ولما كان قبر السعادة سيد القبور كما هو معروف وثابت فزيارته تكون قد ثبتت بالإجماع، وإن كانت زيارة الرسول المشفق على أمته «عليه أعظم التحية» لأصحاب البقيع وشهداء أحد تومئ بأن زيارة القبور منحصرة للرجال إلا أن الآية الجليلة الآتية آمرة بزيارة قبر السعادة **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾** (النساء: ٦٤).

وبما أن هذه الآية الكريمة تشمل النساء أيضًا ويستثنى فى هذه المسألة زيارة قبر الرسول الجليل؛ لذا يستحب العلماء الأعلام قراءة هذه الآية الكريمة عند زيارة القبر المصطفوى التى تستلزم المغفرة.

شد الرحال من قريب أو بعيد إلى المدينة المنورة بقصد زيارة مرقد السعادة خالصًا لوجه الله، قد أكد بأحاديث «من زار قبرى» و«من جاءنى زائرًا» لذا فزيارة القبور من جملة القربات وهذا برىء من الشبهات والزيارة وسيلة للقربة إذ ثبتت زيارة الرسول لشهداء أحد وهو مسافر من المدينة بالأقوال الصحيحة، وبناء على ذلك فمن يخرج إلى المدينة بأمل زيارة قبر الرسول ﷺ بنية خالصة، قد اتفق علماء الأسلاف أو مدققو الأخلاف على أن هذا العمل إحدى وسائل القربات إلى الله.

ولما كان الحديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»[1]، دليلاً كافيًا على أن الذهاب إلى المدينة لزيارة مرقد الرسول وسيلة للقربات فإن الذين لا يعرضون سلامهم وصلاتهم على محبوب الله سبحانه وتعالى يكونون قد تركوا الأفضل ويستحقون الملامة وجديرون بالهجاء والمذمة لتركهم الواجب.

هناك اختلاف أيضًا فى تعيين سبب شد الرحال لغير تلك المساجد المذكورة، قال بعض أئمة الرجال إن شد الرحال لزيارة غير هذه المساجد الثلاثة حرام، وقال بعضهم «إذا كانت الزيارة عن طريق النذر فهى حلال، ويقتضى النظر فى هذا الخصوص إلى نية المتعازم للسفر إذا كان القصد من شد الرحال أداء صلة الرحم أو الدين أو الأمور الخيرية جائز بل واجب، أما إذا لم يكن من الأمور الخيرية فحرام قطعيًا[2].

كان الحسن بن على «رضى الله عنهما» ينهى من يشاهده من الزوار بالقرب من قبر الرسول أن يقتربوا أكثر من ذلك، وكان الإمام زين العابدين يحذر من التقرب لقبر الرسول ذاكرًا الحديث الذى يقول «لا تجعلوا قبرى عيدا ولا بيوتكم قبورا، فإن تسليمكم يبلغنى أينما كنت»[3] (حديث شريف).

هذه الأقوال تحمل على عدم تجاوز حد الاعتدال، حتى أن الإمام مالك كان يكره الجلوس كثيرًا بجانب مرقد السعادة، وكان الإمام زين العابدين فى أثناء زيارته لقبر الرسول ﷺ يقف بجانب العمود الذى يتصل بالروضة المطهرة ويصلى ويسلم وكأنه يومىء بأن المحل المذكور هو الجهة التى فيها رأس النبى الشريف، وكانت حجرات زوجات النبى المطهرات، قبل إلحاقها بالمسجد النبوى موقف زيارة

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/ ٣، وعزاه لأحمد والبزار والطبرانى فى الكبير والأوسط من حديث ابى هريرة ورجال أحمد ثقات أثبات وكذلك روى من حديث أبى سعيد الخدرى، ومن حديث على، وابن عمر، وأبى الجعد الضمرى.

(٢) انظر فى المسألة: إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركش ص ٢٦٧ وما بعدها.

(٣) رواه أبو يعلى وفيه حفص بن إبراهيم الجعفرى ذكره ابن أبى حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، وبقية رجاله ثقات.

فكان الزائرون الواردون فى؟ صدر الإسلام يقفون فى ذلك المكان وهذا على قول أمام باب الحجرة المعطرة.

وسأل هارون بن موسى الهارونى جده علقمة قائلاً: «من أين كان يزار قبر الرسول قبل أن تلحق دور النبى ﷺ بمسجد الرسول؟» فأخذ الرد الآتى: «قد سد باب الحجرة المعطرة قبل وفاة السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ فكان يزار القبر من أمام باب حجرة السيدة عائشة «وهذا منقول عن هارون، والواضح من الحديث ألا يعينوا لزيارة قبر الرسول وقتًا خاصًا كأوقات الأعياد، وكان اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور الأنبياء ويمضون أوقاتهم فى اللهو والطرب بجانب القبور. أو «عدم اللهو واللعب عند زيارة القبور وعقد مجالس الطرب والزينة»، ويجب أن يؤول بأن الذين عزموا على زيارة قبر الرسول يجب عليهم أن يسلموا على النبى ﷺ ويدعون له ثم يمضون بلا توقف وإن هذا التأويل أبلغ من توجيه الحافظ المنذرى وأحسن وهذا التأويل يعد أقوى الأقاويل من جهة التعظيم للرسول ﷺ، ومن هنا يجب على الزوار المسلمين أن يعرفوا أن زيارة قبر الرسول ﷺ من أفضل القربات والمستحبات المؤكدة، وأن يكثروا من شد الرحال لزيارته مرة بعد أخرى وبما أن العيد مرة واحدة فى السنة فلا يحصروا زيارة قبر الرسول لمرة واحدة فى العمر، بل عليهم أن يزوروه كلما استطاعوا ذلك وأن يعودوا دون أن يتوقفوا كثيراً فى حضور قبر الرسول عليه السلام.

قال أبو حنيفة لما كانت زيارة قبر الرسول ﷺ من أفضل المندوبات وأكثر المستحبات تأكيدًا فالزيارة قريبة من الوجوب.

فالذين ينذرون بزيارة قبر الرسول يلزم عليهم الوفاء بنذورهم بناء على رأى الأئمة الشافعيين، وأما الذين ينذرون بزيارة القبور الأخرى فبناء على رأى بعضهم يجب الوفاء بنذورهم بالزيارة بينما الآخرون يرون عدم الوفاء بنذورهم ولكن القول الأول مرجح على القول الثانى[1].

(١) راجع فى المسألة: إعلام الساجد.. للزركش ص ٢٦٧ وما بعدها.

فى ذكر وبيان فضائل المسجد النبوى الشريف والمنبر اللطيف والروضة النبوية المنيفة.

قد وصف الله سبحانه وتعالى مسجد السعادة فى الآية الكريمة:

﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨).

كما أنه سبحانه بين طهارة هذا المسجد المنيف وجماعته وعرفها فى هذه الآية.

وإن كان العلماء قد اختلفوا فى تعيين أى مسجد نزلت فى حقه هذه الآية إلا أن المفسرين الكرام قد نقلوا أحاديث كثيرة لإثبات أن الآية نزلت فى حق مسجد المدينة المنورة كما استدلوا بنقل قول أبى سعيد الخدرى «إننى قلت لإمام الأنبياء» «عليه أكمل التحايا» ما المسجد الذى أسس على أركان التقوى فتلقيت الرد أنه المسجد الذى أتعبد فيه فى المدينة إن الآية الكريمة لمسجد أسس على التقوى نزلت فى حق مسجد المدينة.

وقال بعض العلماء قد تلا النبى ﷺ هذه الآية مخاطبًا أهل قباء وقال (إن الله يثنى عليكم)، وإذا ما نظر لهذا الحديث يلزم أن تكون تلك الآية قد نزلت فى حق مسجد قباء.

إلا أن المفسرين الكرام ردوا على هذا الادعاء قائلين «لما كان أهل قباء فى ذلك الوقت يداومون على الصلاة فى مسجد المدينة فإن هذه الرواية لا تجرح قول أبى سعيد الخدرى.

وقال أبو رشيد إن قول الجليل (من أول يوم) يلمح أن الآية الكريمة فى حق

مسجد قباء، إن قائد المجاهدين عليه سلام الله المعين عندما شرف المدينة المنورة كان أسس مسجد قباء، إلا إذا كانت كلمة يوم فى قوله تعالى (من أول يوم) تعنى فى ابتداء تأسيسه قد طرح على أركان التقوى.

وإذا تمعنا فى النظر فى الاختلافات الواقعة نستطيع أن نوفق بينها قائلين: «إن تلك الآية نزلت فى حق مسجد المدينة وتشمل مسجد قباء أيضًا»، وبما أن كلاهما قد أسسا على أركان التقوى نستطيع أن ندفع المنافاة والتعارض قائلين قد نزلت الآية الكريمة فى حق مسجد المدينة وكذلك فى حق مسجد قباء.

ومع هذا لو نظرنا لما يفيده الحديث الشريف (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) (حديث شريف) وبما أنه لا يجوز شد الرحال لغير مسجد المدينة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى فيثبت أن تلك الآية قد نزلت فى حق مسجد المدينة.

ينقل أئمة الأحاديث عدة أحاديث أخرى كلها تؤيد الحديث السالف الذكر، ولكن ألفاظها تخالف بعضها بعضا إذ تقول الأحاديث المنقولة لاختيار السفر فى أرض الغبراء الساحرة بوجود ثلاثة مساجد «أحدها الكعبة والآخر مسجدى والثالث المسجد الأقصى» والآخر «المساجد التى تستحق السفر إليها مسجدى هذا والبيت العتيق» وأحدها «إن المساجد التى تشد الرحال لزيارتها مسجد إبراهيم ومسجد محمد[1] ـ عليه سلام الله الأحد».

لما كانت بعض هذه الأحاديث لا تشمل على المسجد الأقصى وبعضها مشهورة بضعف روايتها يلزم ألا يهتم بها.

إن الصلاة فى المسجد الذى أسس على التقوى فى المدينة يفضل ثواب الصلاة التى تؤدى فى المسجد الأقصى ألف مرة فمسجد السعادة خير من جميع المساجد ماعدا المسجد الحرام، لأن النبى ﷺ آخر الأنبياء كما أن مسجد المدينة آخر مسجد لأنبياء.

رواية

أراد حضرة الأرقم ـ رضى الله عنه ـ أن يذهب إلى القدس الشريف لينال

(١) انظر: مجمع الزوائد ٤/ ٣ ـ ٤ باب قوله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد..».

الأجر والثواب بالصلاة فى البيت المقدس وبين الأمر للنبى ﷺ إذ مثل بين يديه عندما ذهب لتوديعه، فقال له الرسول مستفهما ليعرف ما فى ضميره «هل تذهب لأجل التجارة؟» فلما أجابه بقوله «بل أذهب لأصلى فى بيت المقدس لأنال الأجر والثواب» قال له: «إن صلاه تؤدى فى هذا المسجد خير من ألف صلاة تؤدى فى بيت المقدس من حيث الثواب» وعلى آخر «إن صلاة تؤدى فى مسجدى أفضل من ألف صلاة تؤدى فى جميع المساجد الموجودة على سطح الأرض غير المسجد الحرام» وعلى رواية «إن صلاة واحدة تؤدى فى بيت المقدس كألف صلاة تؤدى فى المساجد الأخرى غير المسجدين»[1]، ولا يعرف فضل وقدر هذه الصلاة غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومع ذلك لا تعادل الصلاة التى تؤدى فى المسجد الحرام، والمقصود بالمسجد الحرام البقعة المفخمة للكعبة المعظمة.

وبناء على هذا التفصيل فالصلاة الواحدة التى تقام فى بيت المقدس تساوى أجر ألف صلاة تؤدى فى المساجد الأخرى غير المسجد الحرام والمسجد النبوى وصلاة تؤدى فى المسجد النبوى فى المدينة تساوى ألف ألف صلاة تؤدى فى المساجد الأخرى.

فاستثناء المسجد الحرام قائم على أن الكعبة المعظمة مساوية من حيث الثواب لمسجد الرسول أو أن المسجد الحرام مفضل بالنسبة لمسجد المدينة أو فاضل يعنى أن الكعبة المعظمة ومسجد الرسول متساويان من حيث الفضيلة أو أن الكعبة المعظمة تفضله فالصلاة التى تقام فى المسجد الحرام أقل من الألف أو هو فاضل فالصلاة التى تقام فيه أكثر من الألف، قد رجح ابن بطال فى هذه المسالة الاحتمال الأول وقال بما أن تفضيل أحدهما على الآخر لن يكون بدون دليل فتبين تساويهما، والإمام مالك ذهب إلى صحة الاحتمال الثانى يعنى قرر أن المسجد الحرام مفضول، إلا أن الأصحاب الكرام أوهموا أن ثواب مكة المعظمة أكثر من ثواب المدينة المنورة معتمدين على سند الرواية التى نقل عن عمر بن

(١) انظر الأحاديث الواردة فى: مجمع الزوائد ٤/ ٤ ـ ٨.
والمسألة فى إعلام الساجد ص ١١٥ ـ ١٢٧، ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

الخطاب، لأن الحديث المميز الذى نقله أبو الدرداء وهو «فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، وفى مسجدى ألف صلاة، وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة»[1].

وقال ابن ماجة: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا أبو الخطاب الدمشقى، حدثنا زُرَيق أبو عبد الله الألهانى، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل فى بيته بصلاة، وصلاته فى مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته فى المسجد الذى يُجَمَّعُ فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته فى مسجدى بخمسين ألف صلاة، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة»[2].

إن هذا التفاضل فى الفرائض والنوافل على قول الإمام النووى وبناء على قول الإمام الطحاوى وسائر الأئمة المالكية إن هذا التفاضل فى حق الفرائض فقط ولما كان الحديث الشريف (أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة) يؤيد حكم القول الثانى يلزم أن يكون قول النووى من الأقوال الضعيفة، وقال الإمام أبو حنيفة ومالك إن تضاعف الثواب يشمل الفرائض فقط وأجاب الإمام الشافعى مبينا الدقائق فى هذا الأمر بما حاصله أن أفضلية الصلوات المؤداة فى البيت لا يمنع زيادة الثواب ومن هناك لا ينافى الواقع المدعى، فالفاضل بالنسبة للمفضول لا ينتج زيادة الثواب، فقد لا يوجد فى الفاضل الثواب الذى فى المفضول رحمة الله رحمة واسعة.

إخطارمهم

وإن كان تضاعف الأجر وزيادة الثواب فى حق الصلاة فى الأماكن الثلاثة متفق عليه بين العلماء إلا إنه لا يستلزم سقوط الصلوات الفائتة، يعنى أن الصلاة المؤداة فى المسجد الحرام لا تقوم مكان الصلوات المتروكة.

---

(١) رواه البزار بإسناد حسن احتج به ابن عبد البر.
انظر: إعلام الساجد، ص ١١٧.

(٢) فى الزوائد: إسناده ضعيف؛ أبو الخطاب الدمشقى لا يعرف حاله، زريق فيه مقال، قال ابن حبان فى الضّعَفَاء ينفرد بالأشياء لا يشبه حديث الأثبات، لا يجوز الاحتجاج به إلا عند الوفاق.
انظر: سنن ابن ماجة حديث رقم ١٤١٣ ص ٤٥٣.

وإن كان العلماء الكرام متفقين فى تضاعف الأجر والثواب كذلك على كل أنواع العبادات والطاعات التى تؤدى سواء أكان فى المسجد الحرام أو مسجد سيد الأنام يتضاعف أجرها وثوابها، إن الحديث الذى رواه الإمام البيهقى عن جابر بن عبد الله وهو (الصلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، والجمعة فى مسجدى هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام وشهر رمضان فى مسجدى هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام) والحديث الجليل الذى نقله الإمام الطبرى عن بلال بن الحارث (رمضان بالمدينة خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان) دليلان واضحان على أن العبادات والطاعات المتنوعة فى المساجد الثلاثة تتضاعف فى أجرها وثوابها.

المواقع التى تحوز الخاصية الجليلة لتضاعف الأجر والثواب فى المدينة المنورة حيث دفن كنز السعادة.

قد قصر بعض الذوات من أئمة الحديث تضاعف الثواب للعصر الذى عاش فيه إمام الأنبياء (عليه أكمل التحايا) على حدود المسجد الشريف الداخلية والتى بناها فى حياته، ولكنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا مدعاهم بأدلة واضحة، ومن هنا قد قرر أن الطاعات والعبادات المؤداة فى أى ناحية من نواحيها وفى كل مكان فى المسجد النبوى الشريف يتضاعف أجرها، إذ قال سيد الأبرار ـ عليه صلوات الله الستار ـ (لو مد هذا المسجد إلى باب درای ما عدوت أن أصلى فيه وهذا مسجدى وما يزيد فيه فهو منه ولو بلغ بمسجدى صنعاء كان مسجدى وقال عمر بن الخطاب لو مد مسجد الرسول من الشامية وزيد فيه حتى يبلغ الجبانة كان مسجد رسول الله ﷺ «ولو مد مسجد رسول الله ﷺ إلى ذى الحُليفة لكان منه» وقد وسع الأصحاب الكرام المسجد النبوى فى زمنه «ولما كانت هذه الأدلة تكفى لإثبات المدعى فالظاهر تضاعف الأجر والثواب فى أى موقع من مواقع المدينة الطاهرة ولأجل ذلك روى الإمام أحمد والطبرانى عن أنس بن مالك بواسطة رجال ثقاة

الحديث «من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لا تفوته صلاة، كُتِبَ له براءة من النار وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق»[1].

كما روى ابن ماجة أيضًا عن أبى هريرة إن من حين يخرج أحدكم من منزله إلى مسجدى فرجل كتب له حسنة ورجل تحط عنة خطيئة.

كما أن الإمام يحيى روى عن سهل بن سعدً من دخل مسجدى هذا يتعلم فيه خيرا ويعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ومن دخل بغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذى يرى ما يعجبه وهو لغير الله.

كما أن أبا سعيد المقبرى روى أيضًا عن رجال ثقاة يعتمد عليهم فى الحديث الشريف الذى يقول (لا أخال أن لكل رجل منكم مسجداً فى بيته فوالله لو صليتم فى بيوتكم لتركتم مسجد نبيكم ولو تركتم مسجد نبيكم لتركتم سنته ولو تركتم سنته إذن لضللتم) إن هذه الأحاديث الشريفة والآثار المروية الأخرى لدليل كاف على أن يثبت ما يتمتع به المسجد الشريف من قدر ومزية، ومن هنا يقتضى أن يبقى إلى يوم القيامة تضاعف الأجر والثواب للطاعات فى كل موقع من مواقع البلدة المقدسة التى تحتوى على مسجد السعادة.

إخطار

إن الذين يوفقون فى زيارة مثل هذا المسجد يجب أن يعتبروا زيارة الروضة المطهرة ومنبر النبى المنيف غنيمة عظيمة وأن يبذلوا غاية جهدهم فى رعاية تلك الأماكن المقدسة وأداء الصلوات المكتوبة والنوافل فيها، لأن قائد الأنبياء (عليه أتم التحية) أخبرنا أن ما بين بيت عائشة الحجرة المعطرة والمنبر المنير روضة من رياض الجنة كما أن المنبر قائم فوق حوض الكوثر.

وإن كان فى تعريف الروضة المطهرة وتعيين حدودها اختلاف فى الألفاظ مثل (ما بين قبرى ومنبرى) وجاء فى بعض الأحاديث (ما بين بيتى ومنبرى) والأخرى (ما بين بيتى إلى منبرى) إلا أن كلها تؤدى نفس المعنى لأن مرقد السعادة فى داخل الحجرة المعطرة للسيدة عائشة، وإذن فليس هناك فرق بين بيت النبى والمرقد المصطفوى.

(١) انظر مجمع الزوائد ٤/٨.

وبناء على ما رواه الإمام أحمد بواسطة رجال ثقاة عن سهل بن سعد أن منبر السعادة قائم على ترعة تثير الشوق.

وبناء على قول أبى واقد الليثى أن أرجل المنبر فوق أرض الجنة الساحرة وأن الروضة المطهرة والمنبر المنير المزهر مهما مدحا وأثنى عليهما يستحقان ذلك، وقال معاذ بن الحارث من أصحاب النبى ﷺ الكرام إننى سمعت رسول الله ﷺ وهو فوق منبره يقول «إن قدمى على ترعة[1] من ترع الجنة» ونقل أبو سعيد الخدرى أنه سمع النبى ﷺ فى أثناء خطبة فوق منبره يقول «أنا قائم الساعة على[2] حوضى» كما نقل ابن زبالة أن النبى ﷺ قال «أنا على الحوض[3] الآية» كما نقل نافع بن جبر هذا الخبر الصحيح «أحد شقى المنبر على عقر الحوض فمن حلف عنده يمين فاجره يقطع بها حق امرىء مسلم فليتبوأ مقعده من النار» وروى أبو داود وابن حبان وحاكم هذا الحديث.

نقل النسائى حديث «من حلف عند منبرى هذا يمينا كاذبة استحل بها مال امرئ مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صَرْفٌ ولا عدل» ونقل الطبرانى حديث «منبرى على ترعة الجنة وما بين منبرى وبيت عائشة روضة من رياض الجنة» وقد نقلا هذين الحديثين الشريفين ليعرفا أن الروضة المطهرة والحجرة المعطرة والمنبر اللطيف أماكن واجبة الاحترام.

بيان المصلى النبوى وبيان حدوده

قال خاتم الأنبياء ﷺ ليعين حدود مصلاه الميمونة «ما بين حجرتى ومصلاى روضة من رياض الجنة» ومن هنا اختلف علماء السلف فى تعيين حدود مصلى النبى ﷺ

(١) الترعة بمعنى البئر أو حديقة مرتفعة عن الأرض. وانظر مجمع الزوائد ٤/ ٨ ـ ٩.

(٢) العقر يقال للمكان الذى يشرب منه الماء أو على قول يطلق على خلف الحوض إذ ينبع ماء الحوض من هنا. وانظر فى هذا الحديث: المستدرك على الصحيحين ٤/ ٢٩٤ ـ ٢٩٨.

(٣) المقصود بهذا الحوض حوض الكوثر وبناء على ما جاء فى الحديث الشريف «زواياه سواء وأنه حوض متساوى الأضلاع مربع الشكل».

قال بعض الأئمة الكرام: المقصود بهذا اللفظ هو مسجد السعادة وقال الآخرون المقصود من المصلى هو مصلى العيد النبوى إذا ما نظر إلى ما رواه راوى الحديث الثانى عقب حديثه أن أباه يحيى قال إننى سمعت عندما، سمع سعد بن أبى وقاص هذا الحديث سارع بشراء بيت فخم بين المسجد الشريف ومصلى العيد وبالنظر أيضًا إلى ما قاله، جناح النجار كنت ذهبت مع عائشة بنت أبى وقاص إلى مكة فسألتنى ونحن نخرج من المدينة قائلة «يا جناح أين يقع المنزل الذى تسكنه؟» فلما أجبت قائلا «فى بلاط المدينة» فقالت: «أحذر من التفريط فى هذا المنزل لأن والدى سعد بن أبى وقاص كان يقول إنه سمع الرسول ﷺ يقول: «بين مسجدى ومصلاى روضة من رياض الجنة». ومن هنا يلزم المصلى التى وردت فى الأحاديث أن يكون مصلى العيد.

التوضيح: بما أن الموقع المسمى ببلاط قد عرف فى بحث (أرواق المدينة) فهو رصيف الجادة الواسعة الذى يبدأ من المسجد النبوى وينتهى عند مصلى العيد. وبما أنه قد ثبت أن ما بين مصلى العيد ومسجد السعادة روضة من رياض الجنة فمن هنا يلزم أن يكون مسجد السعادة كله الروضة المطهرة ويومئ ما ذكره طاهر بن يحيى وجناح النجار اقتضاء هذا الحكم.

وعلى هذا التقدير قد بين أفضل الناس (عليه الصلوات) أن منبر السعادة سيحشر يوم القيامة مثل سائر المخلوقات وأنه سيوضع فى محله الذى فيه الآن وأن الذين أدوا الصلاة بجانب المنبر ذى الفيوضات سيكونون كالذين أدوا الصلاة فى عقر الكوثر فالذين يداومون على أداء الصلاة فى الروضة المطهرة كأنهم يتعبدون فى جهة من حوض الكوثر وقاموا بأعمال صالحة تتيح لهم شرب الماء من ذلك الحوض، قد بين ذلك فى الأحاديث التى سطرت فيما سبق وبهذه الإشارة الواضحة رغب ضعفاء أمته للتعبد بجانب منبر السعادة وقد اتفق العلماء فى نقل منبر السعادة إلى عرصة العرصات فى يوم القيامة إلا أنهم اختلفوا فى كون المنقول المنبر الحالى أو سيخلق ويصنع منبر آخر لائق بخطيب منبر اللاهوت عليه السلام؟ قال فريق من العلماء إن المنبر الحالى سينقل كما هو إلى أرض

المحشر وأنه سيركز فى عقر حوض الكوثر وقد قرر فريق آخر أنه سيخلق منبر آخر قد رجح ذلك ابن عساكر ومن يوافقون رأيه من الأكابر كما أن ابن النجار قبل ذلك الرأى ونشره.

وقد حمل الإمام مالك فى بحث تعريف الروضة المقدسة الحديث السالف على ظاهره وقال: الروضة المطهرة روضة نفيسة من رياض الجنان، لأجل ذلك لن تمحى وتباد مثل المنازل الأخرى وستنقل إلى أرض الجنان الساحرة على هيئتها، وقد قبل أكثر العلماء هذا الرأى المصيب حتى قال برهان بن فرحون ناقلا عن ابن الجوزى وآخرين إن الصلوات التى تؤدى فى الروضة تستلزم دخول الجنة المطهرة وتنزل أقسام الرحمة فإنها مثل رياض الجنة من حيث المداومة فى العبادة فى الروضة المطهرة وملازمتها.

وقال إن استمرار النبى ﷺ فى العبادة والطاعة فى ذلك المكان المطهر محمول على هذا السر وبهذا أيد قول الإمام مالك.

وأن الحكم على موقع بأنه مسعود ومبارك يتوقف على أن ذلك الموقع قد اكتسب شرفا وسعادة بطاعات رسول الله ﷺوعباداته، وإذا قيل بمقتضى (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) إن العبادة لله ـ سبحانه وتعالى ـ حيثما تكون تؤدى إلى دخول الجنة يلزم منه أن تخصيص المنبر المنير والروضة المطهرة بزيادة الشرف الثابت بدلالة الأحاديث الصحيحة لا فائدة منه ولا قيمة له، وهذا لا يجوز، ومن هنا فمن الأولى أن يحكم أن الروضة المطهرة جزء من الجنة بناء على قول الإمام مالك كما يقال إن الحجر الأسود من حجارة الجنان.

يقول ابن زبالة إن أسامة بن زيد بن حارثة رأى ناقل الحديث إبراهيم مصليا فى ركن من أركان المسجد الشريف وبعد السلام أمسكه من يده وذهب به إلى المنبر الشريف وقال يلزم عليك أن تصلى ها هنا فمن المحتمل أن يكون هذا المكان بالذات من رياض الجنة، كما أن الحجر الأسعد من أحجار الجنة! إن الروضة المطهرة ستنقل إلى الجنة فى يوم الحشر إن هذه المزيه تدل على منزلة نبينا ﷺ،

كما تدل على متابعته لإبراهيم (على نبينا وعليه التسليم). قد أنعم الله سبحانه وتعالى على إبراهيم بالحجر الأسود وهو من حجارة الجنة كما أنعم على نبينا ﷺ بالروضة المطهرة.

كما لا يخفى على أهل الفهم والذوق أن هناك فرق بين التخصيص والتنصيص فإذا حمل الحديث السالف الذكر على ظاهره وفق قول الإمام مالك المختار فرجحان المدينة المنورة على سائر البلاد وفضلها ومزيتها يصل إلى درجة اليقين والثبوت نورها الله تعالى إلى يوم القيامة.

إن الروضة المطهرة التى ثبت بالبراهين المقنعة أنها جنة من رياض الجنان إلا أن العلماء قد اختلفوا فى تعيين وتعريف حدودها، فقال بعضهم إنها من المنبر المنير إلى أن يتصل بالجهة القبلية والشمالية من الجهة القبلية والشمالية للحجرة المعطرة بالتدريج.

ولما كان طول منبر السعادة خمسة أشبار تظهر الروضة المطهرة تقريبًا مثلثا ذى أربعة أضلاع، وبناء على هذا التعريف يلزم أن يكون داخل الخطوط الأربعة فى الشكل الأول الروضة المطهرة وبناءً على هذا يقتضى ألا تكون مقداراً من الأرض التى توجد فى الجهة القبلية بين القبر الشريف والحجرة اللطيفة يعنى المحل الذى يتسع لصف من المصلين وألا يعد من الروضة المطهرة، مع أن هذا المكان الذى ما بين الصف الأول من الأساطين التى فى الجهة القبلية للروضة المقدسة والسور الخشبى الذى أمام محراب النبى ولما كان وجود مكان سجود النبى ﷺ يكسب الروضة المطهرة مزية فلا يحكم على صحة القول المذكور.

وقال بعض العلماء إن الجهات الأربعة للروضة المطهرة متساوية إلا أن محاذاة الحجرة المعطرة التى هى بيت عائشة ـ رضى الله عنها ـ من الشمال والجنوب فى محاذاة منبر السعادة فى الناحية الشمالية والجنوبية.

وبناء على ما يظهر فى الشكل الثانى فإنه عندما تعرض المنبر الشريف مع جدرانه ومسجد السعادة للحريق مرة ثانية ورئى تجديدهما سحب الجدار الجديد

ناحية الحجرة المعطرة وبهذا قد خرج عن محاذاة الجدار القديم قليلا ومد ناحية الجنوب وبهذا أخذت هيئة الروضة المطهرة شكلاً مربعا ولما كان المحل الملحق مسقفا فى عصر السعادة فحكم على أنه من الروضة المطهرة.

قد ذهب بعض الناس من المؤرخين العلماء إلى أن بعض محراب النبى ـ وعلى قول ـ كله أنه الطرف الخارجى للروضة المقدسة، ولم يرد دليل قوى يؤيد هذه الرواية وتردد العلماء قديما فى التصديق على أن يكون محراب النبى خارج الروضة المطهرة وبناء على هذا فلابد أن يكون المؤرخون مخطئين فى ذهابهم إلى هذا إذا ما نظر إلى الشكل الثالث بدقة يرى أن المصلى الشريف فى داخل الحجرة المعطرة فيفهم من أول نظرة أن الرأى الذى ذهب إليه حكم باطل.

وإن كان هناك اختلاف فى المسافة التى بين مرقد النبى والمنبر الشريف من حيث مساحته الذراعية إلا أن هذا الاختلاف فى تعيين مدى سمك جدران حجرة السعادة وقد ذهب فريق من المؤرخين إلى أن المسافة بين المنبر المنير ومرقد السعادة أربعة وخمسون ذراعا وستة أصابع وذهب فريق آخر إلى أن المسافة ثلاثة وخمسون ذراعا وستة وشبر واحد وفى الحقيقة أن المسافة ثلاثة وخمسون ذراعا وستة أصابع وبناء على هذا الحساب فإن الفريق الثانى قد قاسها من داخل الحجرة الشريفة.